الإرهاصات الأولى للطباعة باللغة العربية في أوروبا في القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر

د. علي بكر حسن
جامعة عفت- جدة المملكة العربية السعودية

ستةُ قرونٍ، زيدت عاماً، خَلَتْ منذ أنْ صدر أوَّلُ كتابِ مطبوعٍ باللغة العربية. آن الأوان أن نعير، نحن المهتمين بأم اللغات، موضوعَ الطباعةَ باللغة العربيَّة بعضَ الانتباه. هذا البحث يتناول الإرهاصات الأولى للطباعة باللغة العربيَّة منذ بداية القرنِ السادسَ عشرَ وحتى منتصفِ القرنِ السابع عشرَ. إنَّ ظروف ظهور الكتابة باللغة العربيَّة لا تزال موضع أخذٍ وردٍّ عند المستشرقين، وبدرجة أقل عند الباحثين العرب؛ إذ يتحاورون حول أول كتاب ظهر مطبوعًا باللغة العربية، وكيف نشأتْ فكرة الطباعة باللغة العربيّة؟ وما ظروفُ نشأتِها ومكان هذه النشأة؟ وما الحاجة التي دعت إلى نشأتها وتداعياتها؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي لا تزال الإجابة عنها تحتاج منا إلى مزيد من البحث لإماطة اللثام عنها والتنقيب عن أسرارها.

لا شك في أن خطوة جوتنبرج في فن الطباعة تعتبر نقطة تحول في عالم الطباعة والنشر بدأت سنة 1439م.[1] أخذت أوروبا بمقوماتها فأنتجوا كمّا هائلا من الفكر في مختلف الميادين. وتأخر العرب قرابة ثلاثمائة عام حتى أخذوا بناصيتها في ديارهم على نحو جاد في القرن الثامن عشر. وسبق الأوربيون العرب في الطباعة باللغة العربية، ومع ذلك لم تكن العربية أولى اللغات التي خرجت كتب مطبوعة بها إلى النور في أوروبا. تأخرت الطباعة بالحروف العربية عن مثيلاتها من اللغات السامية، كالعبرية مثلاً، أكثر من عشرين عامًا. ولم تكن العبرية فقط بل جاءت العربية ذيلا لأربع لغات شرقية أخرى هي والآرامية والأرمينية والإثيوبية (الأمهرية)، بالرغم من أن المخطوطات العربية انتشرت في العصور الوسطى، خاصة في أوربا، انتشارًا واسعًا. وبالرغم من أنَّ قرّاء العربيّة ومستخدميها يفوقون بكثير لغات أخرى سبقتها في الطباعة، فما السبب؟

جدير بنا إذن أن نتعرف على الأسباب الحقيقية لتأخُّر الكتاب العربي في الظهور مطبوعًا مقارنة بلغات أخرى. ولكن قبل أن نتعرف على تلك الأسباب حري أن ننبه

على أنه نالتْ بعض الكتب العربيّة شرف الظهور في ثوب قشيبٍ مطبوع، ومن ثمّ سهل قراءتها وتداولها وانتشارها عن مثيلاتها التي كانت تخرج علينا في ثوب مخطوط عتيق. إن الوقوف عند تلك الكتب أمر جدير بالاهتمام؛ إذ لماذا انتقيت هذه الكتب دون غيرها؟ وأين ظهرت؟ ولماذا ظهرت في الأماكن التي ظهرت فيها؟ هذه الأسئلة وغيرها مما يجد المفكر العربي حائرا أمامها. هذه الدراسة ستلقي بعضا من الضوء على الطباعة باللغة العربية في أوروبا عندما بدأت الطباعة بها في القرن السادس عشر وأوائل القرن الذي تبعه.

إنَّ أهمية هذا الموضوع تكمن في أنّه يقدم تفسيرًا تاريخيًّا لنشأة الطباعة العربية. يضاف إلى ذلك أنه يلقي الضوء على أسبابِ اهتمامِ غيرِ العربِ باللغةِ العربيةِ وطباعةِ كتبٍ عربيَّةٍ ونشرِها في أرضٍ غيرِ عربيَّة؛ فلم تعدْ الدوافع التي جعلت غير العرب يضطلعون بأمر الكتاب العربيِّ في بداية القرنِ السادسَ عشرَ الميلاديِّ من نافلةِ القولِ عند الحديث عن اللغة العربية والاهتمام بها عبر التاريخ.
إنها نقطة انطلاق معقولة لكي تسجل تاريخ الفكر العربي منذ نشأة الطباعة إلى اليوم. خطى الغرب في هذا المضمار خطوات عملاقة، بينما لا يزال الشرق يحبو. عكف الباحثون، مستشرقون وعرب، على دراسة المخطوطات، ولكن انحصرت جهودهم في زاوية تاريخ الفن؛ حيث الخطوط، والفنون الزخرفية التي تزينت بها المخطوطات. تقدم فن الطباعة في أوربا منذ جوتنبرج، أي في القرن الخامس عشر فخطت عندهم خطوات جبارة، بينما لم نوفق، نحن العرب، أن نقدر هذا الفن حق قدره، حتى جاء إبراهيم متفرّقة فأنشأ أول مطبعة لطباعة بالعربية في إستانبول سنة 1720[2]، وفي مصر في نهاية القرن الثامن عشر على يد كوكبة من المعنيين بالثقافة العربية الذين حملهم نابوليون بونابرت في حملته على مصر سنة 1798م. وبين المحاولتين محاولات أخرى في لبنان لكنها كانت محصورة فيما يخص الدين المسيحي.

أول كتاب طبع باللغة العربية:

كان أول كتاب على الإطلاق يطبع باللغة العربية هو كتاب صلاة السواعي بحسب طقس كنيسة الإسكندرية،[3] والذي انتهي جريجوري دى جروجوريس، من قاطني البندقية (Gregory de Gregoriis, of the House of Gregorius of the city of Venice) من طباعته في الثاني عشر من سبتمبر سنة 1514 في مدينة فانو الإيطالية.[4] يوافق هذا التاريخ

الثاني والعشرين من رجب سنة 920 من سني الهجرة. يترجم إلى الإنجليزية حرفيا على أنه (The Book of Prayers of Hours). ليكون النسخة العربية لكتاب صلوات على الطريقة الكاثوليكية على مدار ساعات النهار معروف بالإنجليزية على أنه (The Book of Hours). بعض المعلومات عن ظروف طباعة هذا الكتاب ذكرت في آخر صفحاته (Colophon). يذكر أن هذا الكتاب طبع بناء على تعاليم البابا يوليوس الثاني Julius II (1503-1513)، وعلى نفقته. كان الغرض من طباعته أن يوزع على أقباط مصر كما تبوح به الزخارف والديكورات التي تزين بها الهامش.[5] غير أن البابا يوليوس الثاني مات ولم يتسن له أن يرى الكتاب الذي أوصى بطباعته، والذي هو كتاب كاثوليكي بامتياز. الكتاب من القطع الصغير. يبدأ بـ"بسم الله الحي الأزلي" على طريقة هي أقرب الشبه بما اعتادت أن تبدأ به الكتب العربية من "بسم الله الرحمن الرحيم". طبع على ورق سميك نسبيا، احتوى الكتاب على خمس عشرة ملزمة جمعت 118 ورقة، أو 236 صفحة بلا ترقيم، وكل صفحة تتكون من اثني عشر سطرا. طبعت الأربع العشرة الصفحة الأولى بخط مزدوج من الحبر الأحمر والأسود، ثم جاءت باقي الصفحات بالخط الأسود عدا العناوين فكانت بالحبر الأحمر وتخللت بعض الكلمات بالحبر الأحمر. كما ضمت هوامشه بعض الزخارف التي حوت على الأزاهر والطيور، على النمط الذي يظهر في الزخارف الفرعونية. أغلب الظن أن الحروف التي استخدمت لطباعة هذا الكتاب لم تستخدم لأي كتاب آخر. هناك ثمان نسخ من الطبعة الأولى (Cunabula) لهذا الكتاب في العالم اليوم. تضم نسخة كل من مكتبة دار الكتب المصرية، ومكتبة جامعة برينستون في الولايات المتحدة، ومكتبة بودليان في جامعة أكسفورد، بريطانيا، والمكتبة الوطنية الألمانية في ميونيخ، ومكتبة أيستنس في مودينا بإيطاليا. ومكتبة أمبروسيان في ميلان بإيطاليا، ونسختان أو ثلاث نسخ في المتحف البريطاني. العجيب أنه لا يوجد ذكر في أن مكتبة الفاتيكان العامرة تحوي شيئا من هذا الكتاب وكذلك خلت روما وخلت فانو، المدينة التي طبعت الكتاب، من وجود أي أثر لهذا الكتاب، يحار المرء أن يجد سببا لغياب الكتاب في تلك الأماكن، ثم يأتي السؤال: ما الدافع إذن الذي جعل البابا يأمر بطبع مثل هذا الكتاب وكيف أن البابا يأمر بطبع كتاب لا توجد في مكتبته نسخة منه؟! أغلب الظن أن هذا الكتاب قد طبع لتصديره إلى الإسكندرية، ولم يرُ شيءٌ منه محتاج إليه في إيطاليا. يزعم ميروسلاف كرِك (Miroslav Krek) أن الكتاب في الحقيقة طبع في فينيس (Venice) وفي ديسمبر سنة 1517. والذي يعضد

ما ذهب إليه كيرك شهادة جيكوب منزوني (ت 1889، Jacob Manzoni) وهو آخر ما كانت في حوزته نسخة من كتاب صلاة السواعي قبل أن تؤول إلى جامعة برنستون في الولايات المتحدة. يذكر منزوني أن جريجوري كان يمتلك مطبعة في فينيس بجانب مطبعة رجل يهودي اسمه جيرشوم سونسينو (Gershom Soncino)، ولهذا تحدثه نفسه بأن هذا الرجل اليهودي هو الذي قام بطباعة كتاب صلاة السواعي، كما أعد حروفه وصفها له جريجوري. عامل آخر يعضد ما ذهب به كل من كيرك ومنزوني، وهو أن عامل الطباعة جريجوري هذا يعتبر نكرة في عالم الطباعة في إيطاليا ولا يعزى له أنه طبع شيئا يذكر غير كتاب صلاة السواعي.[6] أما لماذا كتم سونسينو سر طباعة الكتاب لا يزال سرا. الجدير بالذكر أن سونسينو طبع أعمالا كثيرة باللغة العبرية بدأها منذ 1505، وأغلب الظن أنه كان يعدها للتصدير إلى تخوم الإمبراطورية العثمانية التي كانت تسمح بدخول أي كتب مطبوعة في أي لغة عدا العربية، ربما فعل نفس الصنيع لهذا الكتاب أيضا وعلى عجل. كذلك لم يذكر المؤرخون للطباعة في أوروبا أن هناك كتبا عربية طبعت في مدينة فانو في تلك الحقبة إلا هذا الكتاب. وهذا ما يفسر أنه لم يبق الطابع حتى على نسخة واحدة لكي يقتنيها البابا أو يهديها لمكتبة الفاتيكان. الكتاب خلا من صفحة عنوان باللغة العربية، واكتفي بعنوان باللغة اللاتينية. لكن لكي يكون مثار جذب للمسلمين بدأ مباشرة ببداية تشبه إلى حد كبير بداية سور القرآن الكريم، إذ جاء بسم الله الحي الأزلي. ظهرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب في جنوة بإيطاليا، تحت إشراف أوغستيني غوستينياني (Augastini Giustiniani) سنة 1516، ولكن يبدو أنها كانت معدة هذه المرة للتصدير إلى مسيحي سوريا، كما تبوح به نوع الزخارف التي توشحتها هوامش الكتاب، كما اختلف نوع البنط الذي صفت به حروف هذه النسخة.

أما عن الحروف التي كتب بها كتاب صلاة السواعي طبعة فانو فجاءت طريقة رصها فريدة من نوعها؛ فلم يثبت أن تكون هذه الحروف وطريقة صفها استخدمت في طبع أي كتب أخرى. من ملامح هذا الكتاب أنه من الصعوبة بمكان قراءة هذا الكتاب، لا يسلم قارئ هذا الكتاب من أن يصاب بالدوار؛ حيث جاء الخط مربعي لا يستبان إلا بعد إعمال نظر، وعلامات التشكيل وضعت أحيانا على غير الحروف التي عني أن توضع لها. غير أن هذا متوقع؛ فهذا حال المحاولات الأولى من الابتكارات الجديدة عادة. لكن لا شك أن محاولة جريجوري لها رونق السبق أيا كان شكلها ووزنها؛ لذا استحق جريجوري شرف السبق في سبك الحروف العربية.

تلك هي قصة الكتاب الأول الذي طبع بالعربية، ومنذ أن ظهر تلته محاولات أخرى لم تكن موفقة للحد الذي وصلت إليه محاولة جريجوري في تشكيل الحروف العربية وصب حروفها حتى قارب القرن السادس عشر أن ينصرف. في سنة 1516، في جنوة بإيطاليا، استطاع بيتر باروس (Peter Paul Parrus) أن يطبع ترانيم أوغست جوستنيان (Aug. Justininani) باللغة العربية والإغريقية والكلدانية والسريانية والعربية في صعيد واحد، إذ هكذا أمر بطباعتها فرانسوا الأول (Francois I 1494-1547)، ملك فرنسا.[7]

اهتمام إيطليا باللغة العربية:

لم يكن عجيبا أن يخرج أول كتاب مطبوعا باللغة العربية من إيطاليا وذلك لكونها أكثر الدول الأوربية إدراكا لأهمية اللغة العربية منذ وقت مبكر من العصور الوسطى؛ فقد أوصى بابا الفاتيكان سنة 1311م بإنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية في جامعات أوروبا وكان أشد حرصا لكي تقوم روما بهذا الدور، وكان الغرض تبشيريرا في المقام الأول. ففي مراسلات بين البابا والبلاط المنغولي أبدت البابوية رغبتها الجامحة في نشر الكاثوليكية بين مسيحي العرب في سوريا ولبنان وفلسطين.[8]

في ذات القرن، السادس عشر، شهدت روما إنشاء مطبعتين جديدتين: الأولى في كلية الجازويت (Jesuit College). طبع في هذه المطبعة كتيبان باللغة العربية من تأليف جون إليانوس (John Elianus)، أحدهما عن فقه الإيمان وقد طبع سنة 1566 بعنوان Fidei orthodoxae professio، والآخر في ذات المنحى الديني بعنوان Colloquim spiritual، وليس به إشارة إلى سنة النشر، لكنه يبدو أنه معاصر للكتيب السابق. أما المطبعة الثانية فكانت المطبعة الشرقية في روما. طبع في هذه المطبعة أيضا كتيبان باللغة العربية جنبا إلى جنب اللغة السريانية. ثم جاءت مطبعة ميديشي الشهيرة سنة 1584 فطبعت نخبة لا بأس بها من الكتب العربية.

ففي محاولة من البابا جريجوري الثالث عشر (Gregory XIII) أن تتحد الكنائس الأورثوذكسية الشرقية وتنضم إلى بابا الفاتيكان، وأن يقدم الدين المسيحي صحيحا إلى المشرق ومن وجهة نظر كاثوليكية، فكر مليا في استغلال فن الطباعة أن يقوم بالدور الإعلامي للكنيسة الكاثوليكية؛ من أجل ذلك وافق البابا جريجوري على طلب من الكاردينال فرديناندو دي ميديشي (Ferdinado de Medici) على إنشاء المطبعة

الشرقية، ستامبيريا أورينتال (Stamperia Orientale) لطباعة الكتب العربية سنة 1584م لتكون أقوى المطابع في أوربا في القرن السادس عشر في طباعة كتب باللغة العربية،[9] إدراكا منه بدور اللغة العربية في حفظ كنوز الإغريق من الفلسفة والعلوم. فكان لاهتمام واحد واحد مثل توماس الأكويني (St. Thomas Aquinas) وغيره من رجال الديني المسيحي باللغة العربية في محله حيث كانت لهم رغبة جامحة لدراسة فلسفة أرسطو والتعليقات العربية التي كانت عليها من فلاسفة مسلمين، مثل ابن سينا وابن رشد، والتي كان لهذه التعليقات أهمية كبيرة في تشكيل آرائهم اللاهوتية والفلسفية.

مطبعة ميديشي ومطبوعاتها:

بعد إنشاء مطبعة الكاردينال ميديشي، استطاع بمعاونة الطباع الماهر دومينيكو باسا Domenico Basa أن يطبع كتاب الصلوات السبع باللغة العربية واللاتينية في عمودين جنبا إلى جنب سنة 1584م.[10] في ذات العام طُبع كتاب سلامِس بن كند غدي الصالحي[11]، المسمى كتاب البستان في عجائب الأرض والبلدان، والذي توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية المركزية في فيرانز، (فلورانس) بإيطاليا.[12] لا يعرف الكثير عن هذا الكتاب أو المؤلف، غير ما يبوح به العنوان، إذ يبدو انه كتاب في الجغرافيا على غرار نزهة المشتاق للإدريسي. ثم أنتجت مطبعة ميديشي أربعة ألاف نسخة من الإنجيل، برواياته الأربعة: يوحنا ومتى وبطرس ولوقا، سنة 1591م.[13] في نفس العام أعيد طبع الإنجيل ولكن بترجمة لاتينية بين سطوره العربية والتي أعدها جبرائيل الصهيوني (ت 1648)، [14] من علماء اللاهوت الموارنة العرب، والذي كان كثيرا ما يضيف نبذة تاريخية عن العرب في الترجمات التي يقوم بها، والتي غدت فيما بعد من مصادر معرفة الغرب شيئا عن العرب. ثم طبعت مطبعة ميديشي نزهة المشتاق للإدريسي سنة 1592م. ولقد حفلت ذات السنة بإخراج كتابين آخرين في النحو العربي، هما: الكافية لابن الحاجب، والأجرومية لابن أجروم. ثم طبع القانون في الطب لابن سينا سنة 1593م، طبعة فاخرة، بلغ عدد صفحاته 1033 صفحة، على ورق ضخم الحجم.[15] ثم تلاه كتاب الترجمة العربية لعالم الرياضيات الإغريقي إقليدس وعليها تعليقات نصير الدين الطوسي سنة 1594م.[16] ولكن واحسرتاه، أغلقت مطبعة ميديشي أبوابها في نهاية القرن الثاني من الطباعة على هذه النخبة من الكتب العربية وهي

كما سبق في الدين المسيحي، والتي كانت لأغراض إكليركية، والنحو العربي، والتي كانت لأغراض تعليم اللغة العربية. أما كتب الجغرافيا والطب والرياضيات فأغلب الظن أنه أريد بها التجارة في بلاد المشرق والتي ظنوا أن يدخلوا بها السوق التجاري العثماني فيكتب لها رواجا. الذي شجع على هذا الظن أنه في سنة 1587، أصدر السلطان مراد الثالث فرمانا من الباب العالي يسمح لرجلين إيطاليين بتصدير الكتب العلمية المطبوعة باللغة العربية في روما، إلى الإمبراطورية العثمانية.[17] كان هذا الفرمان يلحق في نهاية كل كتاب عربي يطبع في إيطاليا، وكان كتاب إقليدس في الرياضيات، الذي طبع سنة 1594م أول كتاب يطبع فيه هذا الفرمان، ومن ثمَّ تعتبر هذا الفرمان أول وثيقة تركية على الإطلاق ترى النور مطبوعة.[18] إلا أن الرياح جاءت لما لا تشتهي السفن. فالذي حدث هو أن باع الكاردينال ميديشي مطبعته في روما ليذهب إلى فلورانس ليكون عونا لأخيه الذي أصبح دوقاً لها. أما عن مصير مطبوعات ميديشي بعد أن أغلقت أبوابها، فقد بقيت حبيسة الخزائن في قصر عائلة ميديشي أكثر من مائة عام. وفي بداية القرن السابع عشر كانت من أوائل المحاولات الإيطالية في طباعة الكتب العربية، أنه في سنة 1632، طبع في بادوفا (Padova) بإيطاليا تفسيرا للقرآن، اختصر فيه الكاهن لويس ماراشي (Louis Maracci 1612-1632) تفاسير البيضاوي (ت 1286)، والزمخشري (ت 1144)، وجلال الدين السيوطي (ت 1505).

في بداية القرن الثامن عشر الهجري أُحْصي ما تبقى من النسخ للكتب العربية التي طبعتها مطبعة ميديشي، فكانت كالتالي: 1039 أناجيل باللغة عربي-لاتيني، 566 إنجيلا باللغة العربية، 810 نسخة من كتاب ابن سينا القانون في الطب، 1967 نسخة من كتاب إقليدس، 1129 نسخة من كتاب الإدريسي، بالإضافة إلى بعض الكتب الأخرى. وفي بداية القرن التاسع عشر، باعت حكومة فلورنس هذه الكمية من الكتب إلى تجار الكتب الذين قاموا بإحراق معظمها لكي يزيدوا من ندرتها ومن ثم يزيد سعرها. أما عن مصبوبات حروف اللغة العربية ومصفوفاتها وباقي موادها، فقد اختزنت في قصر بيتي (Plazzo Pitti)،[19] حتى جاء نابوليون بونابرت وسطا على محتوياته عندما غزا إيطاليا سنة 1808م، وأرسلها إلى باريس. بعد ثمانية سنوات، نُفي نابوليون، وعادت هذه المواد إلى سيرتها الأولى في فلورانس بإيطاليا.

الطباعة العربية في فرنسا:

حاولت فرنسا أن تخوض تجربة الطباعة باللغة العربية، ففي سنة 1538، طبع بيتروس فيدوفايوس (Petrus Vidovaeus) الحروف العربية الهجائية من تصميم المستشرق وليام بوستيلوس (William Postellus) الذي وضع كتابا لاثنتي عشرة لغة شرقية في كتابه: Introduction into the Different Alphabets of Twelve Different Languages. كان يريد أن يطبع كتبا في النحو في هذه اللغات بنفس حروفها، وبصنيعه هذا كان يظن أنه أول من صب الحروف العربية ولم يكن يدر أن حروفا عربية قد صبت في إيطاليا منذ 25 عاما. محاولة أخرى للطباع جرومورس (Gromors) على أرض فرنسا. إذ أراد أن يطبع كتابا في النحو باللغة العربية من وضع المستشرق سابق الذكر وليام بوستيلوس حوالي سنة 1538 أو 1540 بعنوان النحو العربي (Grammatica Arabica). في سنة 1539 وفي باريس أيضا، نشر الطباع جون سيمونيتا (John M. Simoneta) كتابه بعنوان مقدمة إلى اللغة الكلدانية (Introduction into Chaldaic Language) من تأليف المستشرق ثيسيوس أمبروسيوس (Theseus Ambrosius) تضمن طرازين مختلفين من حروف الهجاء العربية ونص عربي، وبعض قواعد النحو العربي.[20]

الطباعة العربية في ألمانيا:

في سنة 1582، شهدت ألمانيا قيام مطبعة عربية في مدينة صغيرة تسمى نيوستادت (Neustadt) قرب مدينة هاردت في شرق ألمانيا. نشرت هذه المطبعة كتابين من تأليف جيمس كريستمان (James Christmann)، ولا يعرف الشخص الذي قام بطباعتهم، ومن ثم نشرهم. كان الكتاب الأول في النحو العربي، وقع في ثنتين وثلاثين صفحة، أما الكتاب الثاني فاحتوى على أكثر من عمل: احتوى على رسالة بولس الرسول في سبي أهل غلاطية وقد طبعت باللغة العربية واللاتينية، بالإضافة إلى ستة فصول دينية في المذهب الكالفيني (Calvinism)، طبعت باللغة العربية بالإضافة إلى بعض قواعد النحو العربي.[21] كانت المحاولة الثانية في ألمانيا والتي قام بها بيتر كريستين من مدينة بيرسلو بألمانيا، فقد طبع بعض الرسائل على سبيل التجارب سنة 1604م.

الطباعة العربية في هولندا:

وكانت التجربة الهولندية على يد المستشرق توماس أربينوس (Thomas Erpenius) (1584-1624)، والتي بدأ في إنشائها في بيته في نهاية القرن السادس عشر إلا أنها لم تنتج بعضا مما أراد إلا في بداية القرن السابع عشر فطبعت كما لا بأس به من الكتب حتى وافته المنية سنة 1624. كان يطبع عليها الكتب الجامعية التي كان يقررها على تلامذته وخاصة النحو؛ حيث كان أول كتاب طبعه كتاب الأجرومية ومائة عامل نشره سنة 1617. الجدير بالذكر أن هذا العالم طبع أول كتاب كامل في حقل التاريخ الإسلامي هو تاريخ المسلمين من صاحب الشريعة أبو القاسم حتى الدولة الأتابكية، نشر في ليدن، هولندا سنة 1625.

خبت الشعلة المتوهجة لطباعة الكتب العربية في القرن السادس عشر الميلادي في أوربا، لتنتقل منها إلى كرم سد بوادي قضايا في جبل لبنان، ويصدر سنة 1610 الكتاب المقدس الذي احتوى على 260 صفحة حوت كل صفحة على عمودين أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة السريانية، بعناية اثنين من طلبة اللاهوت هما بسكوال إيلي ويوسف بن أميمة.[22] ولم يؤثر عن تلك المطبعة أو غيرها في لبنان، أنها طبعت أعمالا ذات ثقل اللهم إلا تلك الأعمال ذات الطبيعة اللاهوتية، حتى كانت تجربة عبد الله زاخر في الطباعة والتي بدأها أيضا بأعمال دينية مثل قوة النفس سنة 1772ومرشد الخاطئ سنة 1774، وتوجت مطابع الشرق في القرن الثامن عشر بالتجربة الفرنسية في مصر إبان حملة نابليون سنة 1798.

أما عن تصميم الحروف العربية وإعدادها للطباعة، فكان للمصمم الفرنسي المشهور ذي السبعين خريفا، روبرت جرانجون[23]، دور عظيم في تطوير شكل الحروف العربية؛ إذ استطاع أن يصمم حروفا عربية ذات ثلاثة أحجام صغيرة للمتن، ومتوسطة للعناوين الجانبية، وكبيرة للعناوين الرئيسة. الحروف غدت أكثر نضجا وأوضح شكلا من كل ما سبقها من محاولات. لم تعرف الحروف العربية تعديلا على تصميم جرانجون حتى أتى إبراهيم متفرقة إلى عالم الطباعة في الدولة العثمانية سنة 1720م. إن تطور صف الحروف العربية وطباعة الكتب العربية من سنة 1514 وحتى 1593، كان للكاثوليك اليد الطولى، وكان ثمرة جهدهم في طباعة الكتب العربية خاصة ذات طبيعة دينية ثمرة يانعة في مجتمعات المسيحيين العرب وربما حتى عند المسلمين أيضا. لقد زودت الطباعة المبشرين بسلاح جديد حاولوا به أن يقنعوا مسيحيو المشرق أن يكونوا كاثوليك، أو حتى ليبقوا على مذهب

الأرثوذكس، وليتحدوا من بعد مع بابا الفاتيكان، وهذا أضعف الإيمان.

لماذا كل هذا الاهتمام باللغة العربية؟

كانت اللغة العربية تتمتع بمكانة رفيعة في أوروبا خاصة في إسبانيا في العصور الوسطى لكونها لغة العلوم آنذاك، لدرجة أن جل رجال الدين المسيحي الأسبان كانوا يجيدون العربية أكثر مما كانوا يجيدون اللغة اللاتينية بالرغم من أن اللاتينية كانت لغة الطقوس الدينية في الكنائس. يذكر الكاتب الإسباني بول الفاروس القرطبي (من القرن التاسع الميلادي Paul Alvarus)، أنه عبر عن ضجره وشكواه من عدم وجود قسيس واحد من بين آلاف القساوسة يجيد اللاتينية لكي يكتب رسالة بسيطة لصديقه القسيس، في حين أنهم كانوا جميعا يجيدون العربية.[24] ومن هؤلاء القساوسة من تصدى لنقل أمهات الكتب من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية في حقول الفلسفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والجغرافيا والفيزياء. قويت تلك الحركة واشتدت على سوقها في إسبانيا ثم في إيطاليا ثم في فلسطين. هناك قائمة بأسماء هؤلاء المترجمين ضمت أربعة وسبعين مسيحيا، وسبعة عشر يهوديا ضمن من كانوا يعملون مترجمين من العربية إلى اللاتينية في المدة ما بين 1050م إلى 1510م.[25] في هذه الأثناء استطاع هؤلاء المترجمون أن ينجزوا ترجمة مائتين وسبعين عملا من العربية إلى اللاتينية، وأربعة أعمال إلى الإسبانية، واثنان إلى الإغريقية وترجموا عملا واحداً إلى الإيطالية. هذه الأعمال معلوم مترجموها، أما الأعمال المترجمة والتي قيدت على أنها مجهولة المترجم، فبلغت مائتين وثمانية وثلاثين عملا مترجما من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، وثلاثة أعمال مترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإسبانية، كل ذلك كان قبل سنة 1510م.[26] بل إن كثيرا من الكتب العربية المترجمة إلى اللاتينية طبعت أكثر من طبعة في القرن السادس عشر بل في القرن الخامس عشر الميلادي.[27] من هذه الكتب ترجمة هيسبلنسي (Hispalensi) لكتاب أبو الصقر عبد العزيز بن عثمان القبيصي (ت 967/380)، مدخل إلى صناعة أحكام النجوم، وكتاب عبد الملك ابن زهر (ت 1162/556) المعروف عند الأوربيين بـ (Avenzoar) التيسير في المداواة والتدابير، واللذين نشرا سنة 1491، كذلك رسالة لابن سينا (ت 1032/427) في الحيوان نشر سنة 1500 . أقبل الأوربيون على دراستها بنهم. لم تحظ لغة شرقية في أوروبا مثل ما حظيت به اللغة العربية من حفاوة علمية واهتمام أكاديمي، لماذا

تأخرت إذن الطباعة العربية ستا وتسعين سنة منذ دارت طباعة جوتنبرج، سبقها إلى ذلك أربع لغات شرقية غيرها؟

قبل أن نخوض في الأسباب ومن أجل الإلمام بخيوط القضية من مختلف جوانبها، علينا أن نشير إلى بعض المحاولات المتواضعة للطباعة العربية في أوروبا في القرن الخامس عشر وقبل ظهور كتاب صلاة السواعي الشهير والتي تبدي اهتماما ما باللغة العربية. السبب الأول هو تمثلت طباعة هذه المحاولات في طبع نصوص عربية قصيرة تأتي حسب ما تمليه المناسبة، في ثنيّات أعمال كتبت باللاتينية أو بلغات أخرى. من هذه الأمثلة ما كان من أمر غرناطة بعد أن انتهى الوجود الإسلامي فيها، إذ أمر حبرها الأكبر بطباعة كتابين لتعلم اللغة العربية بغرض التبشير لطالبين من جامعة مدينة سلامانكا (Salamanka). وبالفعل، شرع في إعدادهم فكان الأول بعنوان: طرق تدريس وقراءة اللغة العربية وعلومها، وكان الثاني عبارة عن معجم عربي - قشتالي. أغلب الظن أن هذين الكتابين كانا بالقالب ولم يكونا طبعا عن طريق المطبعة.

سبب آخر لاهتمام الغرب باللغة العربية في العصور الوسطى كانت الرحلات إلى المشرق، وكانت هذه الرحلات لدواعي التجارة أو لزيارة الأراضي المقدسة. وكانت التجارة كثيرا ما تنشط من أقصى الشرق إلى الغرب مرورا بالبلاد العربية. استدعت هذه الأنشطة التجارية أن يكون بين يدي التجار كتيبات تحوي على تعبيرات عربية ضرورية لاستعمالها عندما يتعاملون مع التجار العرب، أو عن إقامتهم إبان رحلتهم في البلاد العربية. هذه التعبيرات العربية كتبت أولا بالحروف اللاتينية في كتيبات صنعت خصيصا للتجار. احتوت هذه الكتيبات أسماء بعض البضائع التي تحمل أسماء عربية مثل السكر والقطن والقهوة والزعفران وغيرها. نالت اللغة العربية أيضا اهتمام أولئك الذين يذهبون لزيارة الأراضي المقدسة في فلسطين. في الحادي عشر من فبراير سنة 1486ظهر لأول مرة كتيب في "ماينس" (Mainz)، عاصمة إحدى المقاطعات الإمبراطورية الرومانية، احتوى على قائمة من 228 كلمة وتعبيرا عربيا كتب بالحروف اللاتينية (Transliterated)، وضعه برنارد البريتنباخي (Bernard of Breitenback) وعنى بطباعته مارتن روث (Matrin Ruth) كاهن دومينيكي. ذاع صيت هذا الكتاب لمدة زادت على مائة عام لدرجة أنه طبع ست عشرة طبعة في ست لغات أوروبية في ستة عشر عاما في المدة ما بين

1485حتى 1502، واقتناه جل من أراد الرحلة إلى المشرق، فكان ذلك أول عمل يحتوي على كلمات عربية مطبوعة بحروف لاتينية.[28] تتوجت هذه المحاولات في فانو عندما طبع كتابا كاملا باللغة العربية لأول مرة هو كتاب صلاة السواع في فانو الإيطالية، سنة 1514.

ثم بدأت تدور تروس المطابع ومعها جاء الكتاب سهلا ميسورا مقارنة بما كان يتطلبه قبل ذلك. كان الكتاب يأخذ وقتا بالشهور، والعديد من النساخ، ويتكلف الكثير من الأموال، معظمها أجور للقائمين على صناعة الكتاب، وبعد ذلك لا يقتنيه إلا القادرون على شرائه. وعادة ما كان المؤلف يهدي نسخة قيمة لأمير أو ملك لكي يضمها إلى مكتبته. كانت الطباعة الميكانيكية بحق نقطة تحول في عالم الطباعة والنشر يسرت كثيرا من الأموال والجهد والوقت على القراء وطلاب الكتاب.

بعد ذلك، ظهر كتاب صلاة السواعي في طبعته الثانية ولكن المعني به في ذلك الوقت هم مسيحيو سوريا، وقد استمالتهم أم اللغات اللغة العربية منذ القرن الثاني عشر الميلادي لكي تكون لغة صلواتهم الكنسية على مدار اليوم ولتحل محل اللغة الآرامية والتي كانوا يستخدمونها وبقوة حتى القرن الثاني عشر الميلادي. حتى جاء الراهب عبد الله ابن الفضل الأنطاكي فحمل عبء ترجمة الإنجيل ونصوص أخرى إلى العربية. ثم نأتي للسؤال المطروح لماذا تأخرت الطباعة العربية؟ لا يمكن للمرء أن يجيب على هذا السؤال من غير الأخذ في الاعتبار موقف العثمانيين من فن الطباعة.

موقف الإمبراطورية العثمانية من الطباعة باللغة العربية.

بينما كانت أوروبا تتسابق على اقتناء المطابع العربية، أصدر السلطان بايزيد الثاني (ت 1412)، سلطان الإمبراطورية العثمانية سنة 1485 فرمانا بمنع إدخال آلات الطباعة، بل ويجرم من استخدام المطابع الآلية لطباعة الكتب في المناطق الخاضعة تحت بابه العالي، وقد كان جل الشعوب العربية كذلك. في سنة 1515، سار على ذات النهج السلطان سليم الأول (ت 1520). أسباب المنع غير واضحة المعالم قد تكون سياسية وقد تكون دينية، أو قد تكون عملا بالمثل القائل من جهل شيئا عاده. على أن هذا المنع لم يشمل كتب أهل الذمة. فراح اليهود والمسيحيون يتمتعون بطباعة كتبهم في القسطنطينية. فطبعت التوراة بالعربية والعبرية معاً في القسطنطينية لتلبي حاجة المتحدثين بالعربية من اليهود سنة 1546م.[29]

ومن الأسباب التي أخّرت ظهور الكتاب العربي مطبوعا ما يذكره الدكتور سهيل صابان من أن وجود أعداد هائلة من النساخ والخطاطين وصلت ما يربو على عشرين ألفاً ما بين ناسخ وخطاط كانوا يعتمدون في مورد رزقهم على الكتاب المخطوط، كان سببا في تأخير دخول آلات الطباعة نسبيا إلى الدولة العثمانية، الذي كان حتما يؤدي إلى قطع أرزاقهم.[30]

سبب آخر لتأخير ظهور الكتاب العربي مطبوعا، هو أنه كان هناك صراع قائم بين العالم الإسلامي والغرب؛ إذ كان العالم الإسلامي ينظر إلى كل ما يأتي من الغرب في ريبة. صدق ظن المسلمون في الغرب من هذه الناحية عندما علموا أن الطباعين كانوا يستخدمون فرشاً مصنوعة من شعيرات الخنازير (brushes of pigs-bristles).[31] فماذا لو مست هذه الشعيرات النصوص الدينية. كذلك الأحبار المستخدمة في الطباعة لا يُعرف الكثير عن وصفتها ومكوناتها. فلكي يتحاشوا الأمر من أن تكون هذه الأحبار قد حوت ما هو نجس، أفتى علماء الدولة العثمانية ألا تطبع الكتب العربية، خاصة تلك التي تحتوي على نصوص من الدين. ولكي يطمئن القراء على ما يقرأون، حوى الكتاب الأول الذي أصدرته مطبعة إبراهيم متفرقة فتوى العلماء التي تجيز طباعة الكتب التي ليست ذات طبيعة دينية بتلك الطريقة الميكانيكية الحديثة.[32] وأخيراً يأتي دور الحروف العربية وما بها من تعقيد في صياغتها وصفها وصعوبة تشكيلها لما تحتويه على الأشكال المختلفة التي تأخذها اعتماداً على مكانها من الكلمة، وما يكتنفها من منحنيات معقدة.

ومن الأسباب أيضا أنه على ما يبدو أن العرب أبدوا نوعا من الرضا حول تداولهم كتبهم في شكل مخطوطات، ولم يبدوا نوعا من التبرم من ذلك، ومن ثم لم يجدوا أن هناك حاجة ملحة لاستبدال الكتاب المخطوط بنظيره المطبوع.

وبسبب التعنت الذي واجه بها سلاطين العثمانيين حركة الطباعة، وعدم السماح بدخول الكتب المطبوعة بالحرف العربي البلاد التي تخضع تحت حكمهم؛ فكسدت صناعة الكتاب العربي في أوروبا في القرن السادس عشر، وأفلست مطبعة ميديشي ثم أغلقت أبوابها. وتأخرت الطباعة في العالم العربي قرابة ثلاثمائة عام.

وهكذا رأينا كم كانت اللغة العربية محل اهتمام الأوربيين في العصور الوسطى ليس فقط في الأندلس وإنما في أوروبا كلها. عكفوا علماؤهم على دراستها والاستفادة بها والنهل من علومها. ترجموا أعمالا كثيرة من اللغة العربية إلى اللغة

اللاتينية فنشطت حركة الترجمة في أوروبا أكثر من أربعة قرون في العصور الوسطى. وعندما جاء جوتنبرج بفن الطباعة سنة 1439 سارع الأوربيون، وخاصة الإيطاليون الكاثوليك، للاستفادة بهذا الفن قبل العرب، فسبقوهم في طبع أول كتاب باللغة العربية على الإطلاق ألا وهو كتاب صلاة السواعي. لم ينصرف القرن السادس عشر الهجري إلى وكان عدد غير قليل من أمهات الكتب العربية ظهر في ثوب قشيب من الطباعة. شملت هذه الكتب حقول في النحو والجغرافيا والطب والرياضيات والدين المسيحي. وبالرغم من أن اللغة العربية لم تسبق أخواتها من لغات المشرق ظهورا في الطباعة، إلا أنه لا يعرف أن لغة أخرى تقدمت عليها في عدد النسخ من الكتب التي طبعت.

أمثلة من مطبوعات عربية في إيطاليا

كتاب صلاة السواعي، فانو: 1514.

الصفحة الأولى

بسم الله الحي الازلي
ابتدي بعون الله تعالى
وحسن توفيقه بكتب ا
لصلوات الليليه والنهاريه
اول ذلك صلاة نصف الليل
تقول تصلوا بي جميع ايها
نا المؤمنين يا ربنا يسوع
المسيح الاهنا ارحمنا امين

الصفحة الأخيرة

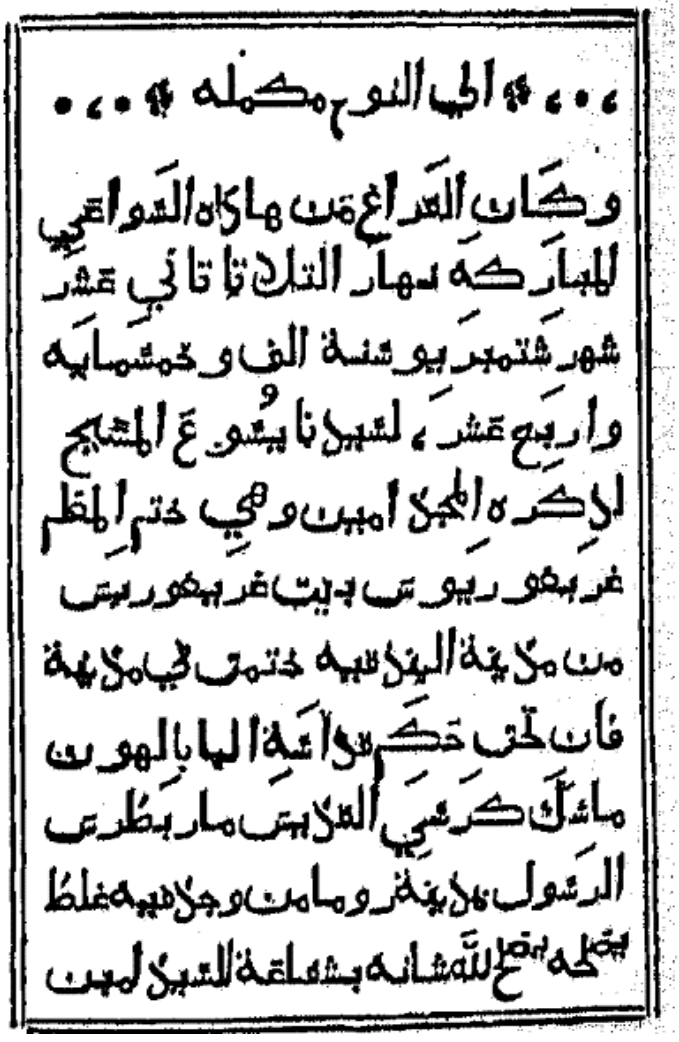
الي النوم كمله
وكان الفراغ من هذا السواعي
المبارك نهار الثلاثا ثاني عشر
شهر شتمبر بو سنة الف وخمسمايه
واربع عشر لسيدنا يسوع المسيح
الذكره المجد امين وهي ختم المظم
غربهوريوس بيت غربهوريس
من مدينة البندقيه ختمت في مدينة
فانو تحت حكم السيد الياباالهورن
ماشك كرسي الثلاثه مار بطرس
الرسول مدينة روما من وجل هيه غلط
يحكمه يضع الله شانه بساعة السيد امين

ابن سينا، <u>كتاب القانون في الطب</u>، روما: مطبعة ميديشي، 1593.

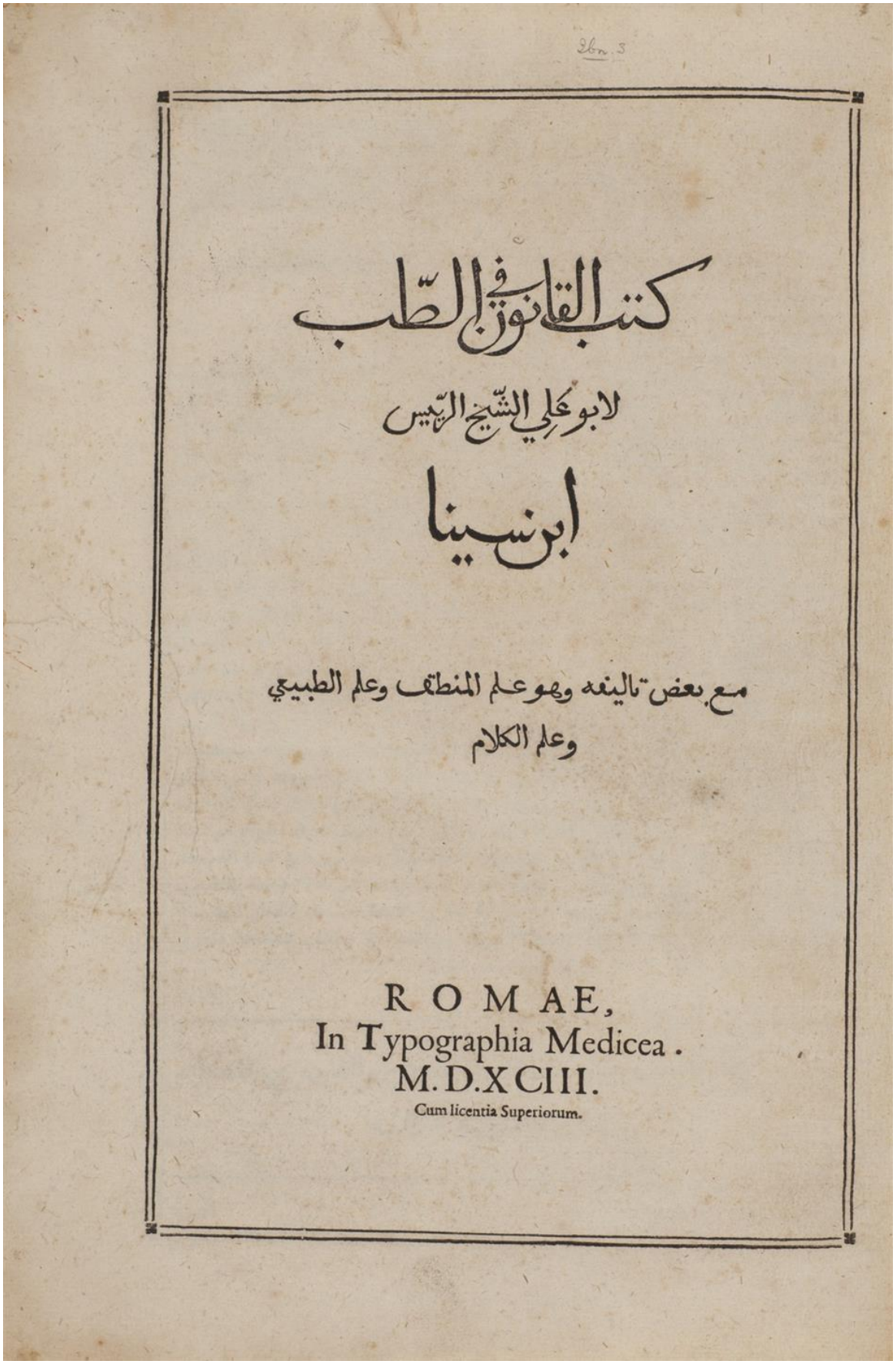

كتاب القانون في الطب

لابو علي الشيخ الرئيس

ابن سينا

مع بعض تاليفه وهو علم المنطق وعلم الطبيعي
وعلم الكلام

ROMAE,
In Typographia Medicea.
M.D.XCIII.
Cum licentia Superiorum.

الهوامش وثبت المراجع

[1] يوهانس جوتنبرج (Johannes Gutenberg 1398-1468)، ولد في مينز (Mainz) بألمانيا. عمل حدادا ثم استطاع أن يصمم حروف الهجائية اللاتينية. حمل متاعه وذهب إلى ستراسبورج بينما كان يحاول اختراع مطبعة. وبعد جهد خمس سنوات تكللت جهوده بالنجاح. خلدت مدينة ستراسبورج اسمه وصنعت له تمثالا في إحدى ميادينها ممسكا الكتاب المقدس مكتوبا عليه "وكان هناك ضوء (There was a light)".

[2] مطبعة إبراهيم متفرقة هي أول مطبعة تأسست للطباعة بالحرف العربي بناء على مرسوم من السلطان العثماني أحمد الثالث المصدر السابق. انظر سهيل صابان، الطباعة العربية في تركيا، الرياض: دار الفيصل الثقافية، 2001 ص. 5.

[3] على اعتبار أن السواعي جمع لكلمة ساعة.ساعة: جمعها الساعات والسَّاعٌ ، وجاءنا بعد سوع من الليل وسُواع كغراب، أي بعد ساعة هدءٍ منه. انظر لسان العرب، وتاج العروس، والصحاح في اللغة. ويبدو أن جريجوري كان يقصد صلاة السواع، ولأن السواع وقعت مضاف إليه فأضاف إليها ياءً بدلا أن يضيف إليها كسرة. أو ربما تكون على هذه الحالة جمعا للجمع، لو احتملت اللغة هذا. عنوان الكتاب باللاتيني الذي ظهر على صفحة العنوان هو: Septem horae canonicae وكذلك Horologion precatio horarii الجدير بالذكر أن الكتاب ليس له صفحة عنوان باللغة العربية، ولا يُدرَى من أُتِيَ بعنوان الكتاب "كتاب صلاة السواعي" الدليل النصي الوحيد الذي يبدو لنا هو أن كلمة السواعي ذكرت في الصفحة الأخيرة من الكتاب. انظر صفحتي كتاب صلاة السواعي بنهاية هذا البحث.

[4] فانو (Fano) وتعرف أيضا بـــ "فانوم". مدينة إيطالية تقع على البحر الإدرياتي. جاء أول ذكر لها سنة 49 قبل الميلاد، عندما فتحها القيصر يوليوس. شهدت معركة كبيرة سميت باسمها بين الجيش الروماني والجيش الألماني انتصر فيها الرومان سنة 271م.

[5] من أمثال التصاوير التي في الهوامش، مثل الطائر المصري المعهود "أبيس". أما عن كتاب صلاة السواعي الذي كان موجها إلى مسيحي سوريا فقد صدر متأخرا مستخدما زخارف نسخت من هوامش نسخة صلاة السواعي باللاتينية طبعة سنة 1517. أخذ هذا الإصدار من الكتاب عن نسخة كان قد ترجمها إلى العربية عبد الله ابن الفضل الأنطاكي، راهب ملكي سوري من القرن الحادي عشر الميلادي. انظر

"Was the First Book Really printed in Fano", Middle Eastern Library Association Note, No. 10, Feb. 1977.

[6] Philip Hitti, "The First Book printed in Arabic", *Princeton University Library Chronicle*, Vol. No. 2, November 1942.

[7] طبع من هذا الكتاب ألفين نسخة، لم يبع منهم إلا خمسمائة نسخة فقط. انظر: Lenhart, p. 63.

[8] Aramco World, January-Feb. 1980.

[9] James Harper, ed., *The Turk and Islam in the Western Eye, 1450-1750,* Ashgat publishing, 2011, p. 140. Paul Lund, "Arabic and the Art of Printing", *Aramco World*, vol. 32 no. 2, March/April 1981.

[10] See Lund.

[11] هو ابن كند غدي الصالحي السلاميش، لا يعرف الكثير عنه، غير أنه من جزيرة سلاميش أو سلاميس، إحدى جزر اليونان في بحر ايجة، حدث بها موقعة بحرية مشهورة بين الفرس والإغريق قبل الميلاد. وكندج بالتركية يعنى سمور وأغلب الظن أن والده كان معروفا ببيع فراء السمور (Sables)، وهو حيوان ثديي من فصيلة العرسيات.

[12] See Catalogo del Polo BNCF, Biblioteca Nazionale Centrale Di Firanze.

أشار إلى هذا الكتاب بول لوند على أنه من تأليف أبو العباس أحمد بن خليل الصالحي، وهذا خطأ. ربما التبس اسم الكتاب باسم كتاب النجوم الزواهر لأحمد بن خليل الصالحي المعروف بابن اللبودي (ت 896هـ).

[13] يوجد في مكتبة جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس نسخة منه اطلع كاتب هذه السطور عليها.

[14] جبريل الصهيوني معروف أيضا بـ: جبرائيل سايونيتا (Gabriel Sionita) من علماء اللاهوت الموارنة المشهورين، ولد في لبنان سنة 1577، شارك في نشر الكتاب المقدس المتعدد اللغات في باريس سنة 1645، ذكر سير هاري تشارلز لوك (Sir. Harry Charles Luke d. 1969) في كتابه ولاية موصل وأقلياتها أن

جبرائيل سايونيتا ترجم وثيقة الأمان التي أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم إلى بطريرك انيسة المشرق الآشورية ونشرها في فرنسا سنة 1630. ما الصهيوني في باريس سنة 1648. انظر:
Sir. Harry Charles Luke, Mosul and its Minorities, London: M. Hopkinson &Co. 1925

[15] Lenhurt, 64.

[16] اطلع كاتب هذه السطور على نسخة من هذا الكتاب إبان عمله بجامعة براون في مدينة بروفيدنس في رود أيلاند بالولايات المتحدة.

[17] See Lund.

[18] See Lund.

[19] قصر بيتي ينطق بالإنجليزية (Pitti Palace)، قصر عظيم شيده المصرفي الغني لوقا بيتي (Luca Pitti) على مساحة 32000 متر مربع، في العصر الوسيط على الضفة الجنوبية من نهر آرنو، في فلورانس (Florence) بإيطاليا. اشترته عائلة ميديشي سنة 1549، واتخذوه مقراً لإقامة دوق مقاطعة توسكاني (Tuscany) الإيطالية. ثم أصبح لهم متحفا يضم النادر من التحف والمجوهرات واللوحات. اختزنوا فيه مخلفات مطبعة ميديشي وكان منها الحروف العربية والمطبوعات العربية. اتخذه نابليون مقرا لقاعدته إبان احتلاله القصير لإيطاليا. وبعد جلاء نابليون أصبح مقرا لملك إيطاليا فيكتور إيمانويل الثالث سنة 1919، والذي تبرع به وبما فيه للشعب الإيطالي.

[20] Lenhart, p. 63.

[21] Lenhart, 64.

رسالة غلاطية (Paul's Epistle to Galatians): هي إحدى رسائل الإنجيل التي تنسب إلى بولس الرسول. وهي رسالة موجهة إلى الكنائس التي كانت تقع في غلاطية الرومانية وهي الآن ضمن الحدود التركية. وتعتبر هذه الرسالة من أكثر رسائل بولس الرسول تعمقا في القضايا اللاهوتية ولها تأثير كبير على الفكر اللاهوتي البروتستانتي.

[22] Lund.

[23] روبرت جرانجون (Robert Granjon 1513-1590) مصمم حروف طباعة، فرنسي الأصل، جال مدن أوروبية مستعرضا مهارته في فن الطباعة، كان جانجون أول من ابتكر الحروف المائلة (*Italic*)، والذي عاشت كما صممها ولم يدخل عليها إي تعديل حتى سنة 1920. عينته الفاتيكان مصمما لحروف الطباعة للغات الشرقية، فقد صمم حروف اللغة الأرمينية سنة 1579، واللغة السريانية سنة 1580، واللغة العربية سنة 1580-1686. تعاون مع جيامبتيستا رايموندي (Giambattista Raimondi) المدير العلمي التنفيذي لمطبعة الكاردينال ميديشيا للغات الشرقية، والمدير التقني للمطبعة دومينيكو باسا (Domenico Basa)، تعاونوا معا وأخرجوا كتبا مطبوعة باللغة العربية مثل القانون في الطب، وكتاب أقليدس في الرياضيات وغيرهما.

[24] Lenhart, 52.

[25] Lenhart, 52.

[26] Lenhart, 52.

ذكر المستشرق الألماني موريتز ستاينشنايدر (ت 1907 Moritz Steinschneider) في كتابه الترجمات الأوروبية عن العربية (Die europäischen Übersetzungen aus dem Arabischen bis Mitte des 17. Jahrhunderts) من هذه الأعمال اثنين وأربعين عملا اطلع عليها هو بنفسه، بينما عفا على الباقي الزمن.

[27] Miroslav Kerk, "The Enigma of the First Book Printed from Movable Type", *Journal of Near Eastern Studies*, v. 38, no. 3 (1979), p. 209.

[28] Lenhart, 56.

[29] استمر حال الطباعة باللغة العربية في العالم الإسلامي حتى القرن الثامن عشر، وهذا وراء قصد هذه الدراسة، حتى جاء السلطان أحمد الثالث (ت 1736)، حيث استطاع أحمد أفندي جلبي وبمعاونة الفنان النابه إبراهيم متفرقة (ت 1745)، مجري اعتنق الإسلام، أن ينشئ أول مطبعة في القسطنطينية سنة 1720، والتي استطاعت طبع قاموس الصحاح للجوهري مترجما من العربية إلى التركية سنة 1728، وكان ذلك أول كتاب يطبع في العالم الإسلامي باللغة العربية.

[30] يقال إنه لما صدرت الموافقة على إنشاء أول مطبعة في إستانبول سنة 1139هـ/ 1726م، قام هؤلاء

الخطاطون بمسيرة جنائزية رمزية وضعوا آلات الكتابة وادواتهم في تابوت وساروا بها إلى المقبرة لدفنها. غير أنهم لما علموا باشتراط السلطات العثمانية على القائمين على المطبعة بعدم طبع الكتب الدينية، والسماح فقط بطبع كتب علوم الآلة والعلوم البحتة. استبشروا عندئذٍ خيرا ولم يكملوا مسيرتهم على علم منهم أن الرواج في تلك الفترة للكتب الدينية خاصة تلك التي كانت تدرس في المعاهد الشرعية. وبالفعل نجع هؤلاء في تثبيط مطبعة إبراهيم متفرقة عندما أنشئت سنة 1720، من طباعة الكتب عامة والكتاب العربي بصفة خاصة، فلم تنتج أكثر من سبعة عشر كتابا قرابة العشرين العاما التي تلت إنشاءها وحتى وفاة منشئها إبراهيم متفرقة سنة 1158هـ / 1745م. هذه الكتب في اللغة العثمانية التي تكتب مستخدمة الحرف العربي في الكتابة. أما الكتاب العربي المطبوع فلم ير النور حتى إنشاء أول مطبعة عربية هي مطبعة دار الطباعة، والتي عرفت أيضا بدار الهندسة والتي أنشأت في سنة 1212هـ / 1796م، على أنقاض مطبعة متفرقة مستخدمة حروفها وأدواتها، بعد أن اشتراها راشد أفندي، وعين عبد الرحمن أفندي المدرس في مدرسة الهندسة مشرفا عليها. وهكذا حرم المجتمع العربي من فائدة الكتاب المطبوع مدة طويلة منذ أن اخترع هذا الفن. انظر سهيل صابان، 4.

[31] J. M. Lenhart, "The First Book Printed in Arabic Characters", *American Catholic Quarterly Review*, Jan.-Oct. 1917, vol. 42, p. 58.

[32] سهيل صابان، ص. 3.